سلسلة شخصيات عشقت الوطن

مصطفى النحاس

أسامة عبد الرحمن

دار نوبل
للنشر والتوزيع

الكتاب : مصطفى النحاس
المؤلف : أسامه عبد الرحمن



الناشر : دار نوبل للنشر والتوزيع
٤ شارع سيد الخطيب - الثلاثيني
العمرانية الغربية - الجيزة.
ت : ٠١٢٢٠٣٢٠٩٠٥ - ٠١١٥٩٦٠٥٠٧١
Email: Darnobel@yahoo.com

الطبعة : ٢٠١٨
رقم الإيداع: ١٣٥٩٢ / ٢٠١٨م
الترقيم الدولي :
• تصميم الغلاف: أمير عكاشة

الهيئة العامة للكتاب
الفهرسة أثناء النشر

عبد الرحمن، أسامه
مصطفى النحاس، أسامه عبد الرحمن، الجيزة، دارنوبل للنشروالتوزيع، ٢٠١٨
العنوان : ٥٨ ص ، ١٨ سم
رقم الإيداع : ١٣٥٩٢
١- دراسات
٢- العنوان
ديوي ٩٢٠

مصطفى النحاس

مقدمة

فى مواقف معينة يحضر شخوص بعينهم، بما يمثلونه فى الذاكرة من معان، وما يبعثونه فى النفس من شجون، كأن تحضر الأم حين يشعر المرء مهما كبرت سنه وغمر الشيب رأسه بالحاجة إلى الحنان، أو أن يحضر صديق وفىّ غيّبه الموت، أو باعدت بينك وبينه الدنيا وشواغلها، فى لحظة تشعر فيها أن الوفاء صار بضاعة راكدة لا تجد من يشتريها، أو تمر بخيالك أطياف حب قديم خلت أنك نسيته، فإذا به ينعش قلبك ويداعب شغافه، ويمنحك طاقة هائلة وقدرة على الاستمرار فى الحياة.

هؤلاء الشخوص يمثلون معانى بعينها، يجسدونها بشراً من لحم ودم، نسميهم الرموز ونخلع عليهم قداسة من نوع ما، خصوصاً إذا انطبقت دلالات القيمة الإنسانية التى يمثلونها على سيرتهم الشخصية، فصاروا هم بذواتهم قيما تمشى على الأرض.

من هؤلاء السياسى الوطنى العظيم أحد اهم الساعين لتحرير الأمة من الاحتلال الإنجليزى هو مصطفى باشا النحاس الزعيم بحق الذى عاش قصة صراع مع ملك شاب تجره حماسة الشباب والجذور الملكية الى ان ينفرد بالحكم لكنه يصطدم بالخبرة والحنكة السياسية فيوقفانه عند حدود خبرته الشابه ورغم ذلك كان فى بعض الفترات ينال الملك منه إلى أن أخذه قدره وقدر زوجته إلى أن يصطدم مرة أخرى بمجموعة من الشباب هم من أسقطوا الملك لينفردوا هم بحكم بلد فى حجم مصر فيؤذونه ويؤذون زوجته السيدة زينب الوكيل ويظل شامخاً رافعاً رأسه إلى أن يلقى ربه .

أسامة عبد الرحمن

الباب الأول

☆☆☆

الميلاد والنشأة
والبداية السياسية

مصطفى النحاس (١٥ يونيو ١٨٧٩ - ٢٣ أغسطس ١٩٦٥) أحد أبرز السياسيين المصريين في القرن العشرين تولي منصب رئيس وزراء مصر ورئيساً لمجلس الأمة (مجلس الشعب) ساعد على تأسيس حزب الوفد وعمل زعيماً له من ١٩٢٧م إلي ١٩٥٢ عندما تم حله ساهم كذلك في تأسيس جامعة الدول العربية.

حياته المبكرة

ولد مصطفى النحاس في سمنود، محافظة الغربية، لأسرة ميسورة الحال والده محمد النحاس أحد تجار الأخشاب المشهورين يُمتّلك عدة ورش وعقارات، له سبعة من الأخوة والأخوات تلقى تعليمه الأساسي في كتاب القرية في سن السابعة أرسله والده وهو في سن الحادية عشر للعمل بمكتب التلغراف المحلي، ونال إعجاب من في المكتب بعد إتقانه لطريقة الإرسال والإستقبال وترجمة الرموز وصل هذا الخبر أحد المستشارين المُقيمين في الدائرة وذهب إلى والده مقنعًا إياه بضرورة إرسال ابنه للتعلم في مدارس القاهرة انتقل مصطفى النحاس لأول مرة إلى مدينة القاهرة، والتحق بالمدرسة الناصرية الابتدائية بالقاهرة، وحصل منها على الشهادة الابتدائية، ثم التحق عام ١٨٩٢ بالمدرسة الخديوية الثانوية،ثم التحق بمدرسة الحقوق عام ١٨٩٦ وتخرج فيها عام ١٩٠٠.

رفض النحاس العمل كمساعد نيابة وفضل العمل الحر كمحامي كانت أول وظيفة للنحاس في مكتب محمد فريد المحامي الذي تولى زعامة الحزب الوطني بعد مصطفى كامل ترك مكتب محمد فريد، وبعد فترة قصيرة أصبح شريكًا للمحامي المشهور حينها محمد بك بسيوني بمدينة المنصورة ظل يعمل في المحاماة حتي عام ١٩٠٣ثم عرض عليه عبد الخالق ثروت باشا العمل بالقضاء ضمن وزارة حسين رشدي باشا حين كان وزيراً للحقانية رفض النحاس هذا العرض،

لكن ذهب ثروت إلى والد النحاس ليُقنع النحاس بقبول الوظيفة حتى قبلها كان أول تعيين له كقاضٍ في أكتوبر ١٩٠٣ بمحكمة قنا الأهلية وأسوان أمضى فيها الفترة من ١٩٠٣ إلى ١٩٠٨ ثم بعد ذلك تسعة أعوام متنقلاً بين مدن الدلتا والقاهرة وطنطا حيث تولى آخر مناصبة، رئيساً لدائرة محمكة طنطا، وحصل وقتها على رتبة الباكوية.

بدايته السياسية وإنضمامه لمجموعة سعد زغلول

يُعد دخول مصطفى النحاس الحياة السياسية مرتبطاً بإعلان الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون للمبادئ الأربعة عشر التي أُذِيعت بعد الحرب العالمية الأولى حيث نادى بحق الشعوب الصغيرة في تقرير مصائِرها.

أثر هذا في وجدان النحاس الذي كان يكن شعوراً عدائياً تجاة الإحتلال البريطاني لمصروكان النحاس وقتها يعمل قاضيًا بمدينة طنطا، ويلتقي ببعض أصدقائه في القاهرة بمكتب المحامي أحمد بك عبد اللطيف من المؤيدين لفكر الحزب الوطني شغل المجموعة التفكير في آلية لإيصال صوت مصر للعالم، وكان هذا هو الفكر السائد لدي المجموعات السياسية في هذا الوقت فبدأت المجموعة في التواصل مع سعد زغلول، نائب رئيس الجمعية الشرعية حينها، فتطوع علي ماهر (مدير إدارة المجالس الحسبية بوزارة الحقانية -العدل حالياً) للتواصل مع عبد العزيز فهمي عضو الجمعية وأحد المقربين من سعد زعلول فشل ماهر في إقناع فهمي بإستعداد المجموعة للعمل تحت قيادة سعد زغلول فقرر النحاس الذهاب بنفسه لإقناع فهمي بذلك فغنم النحاس موافقته، وأخبره بأن هناك نية لتشكيل وفد مصري يتحدث باسم مصر وهناك توجه بدمج كافة فصائل المجتمع في هذا الوفد، حتي لا يتهم الوفد بالحزبية.

بدأ سعد زغلول تشكيل الوفد، وأدرك حينها أنه لو سمح للحزب الوطني بإرسال مرشحيه، لأرسل المغالون منهم، ما كان سيجهض أي مفاوضات فسعى سعد زغلول إلى ضم عناصر من الحزب الوطني من إختياره تجنباً لأية صراعات، لذا أُختير مصطفى النحاس وحافظ عفيفي في ٢٠ نوفمبر١٩١٨ ضمن أعضاء الوفد السبعة.

توابع الحرب العالمية الأولى

كان من أهم نتائج الحرب فرض الحماية البريطانية على مصر عام ١٩١٤، وفصل مصر عن الدولة العثمانية وعزل الخديوي عباس حلمي وتعيين حسين كامل سُلطاناً على مصر فأدت الظروف إلى فشل الحزب الوطني في حركته السياسة، وتكوين أفراد حزب الأمة لحزب جديد باسم حزب الوفد، بزعامة سعد زغلول بدأ سعد زغلول في تشكيل حزب الوفد وضم حينها مجموعة كبيرة من أعضاء حزب الأمة والجمعية التشريعية والحزب الوطني، وكان من ضمنهم مصطفى النحاس الدي عُين سكرتيرًا للحزب الجديد ولعِب النحاس دوراً هاماً خلال ثورة ١٩١٩حيث نظم مع عبد العزيز فهمي إضراب المحامين، وكذلك كان الوسيط بين لجنة الموظفين بالقاهرة واللجنة بطنطا، فكان يحمل المنشورات داخل ملابسة ويقوم بتوزيعها هو ومجموعته على أفراد الشعب فُصل النحاس من منصبة كقاض نتيجة لنشاطة السياسي، وأصبح سكرتير عام للوفد في القاهرة حتى عاد من باريس، حيث افتتح مكتباً للمحاماة.

عُرِض مشروع ملنر، ووافق عليه طائفة ملاك الأراضي الزراعية داخل الوفد الذين كانو يشكلون ٨٣% من الوفد مُعلنين بأن هذا أقصى ما يمكن تحصيله ورأى سعد زغلول أن هذا العرض غير مناسب بعد الثورة، لذا كتب سعد زغلول للنحاس وواصف وعفيفي في ٢٢ أغسطس ١٩٢٠ يعرض فيه مشروع ملنر

ومشكلة الأمتيازات واستمرار الحماية البريطانية كان النحاس في هذا الوقت في القاهرة، بينما كان سعد في أوروبا وكان من المفترض أن يقوم أعضاء الوفد في القاهرة العائدين من الخارج بعرض المشروع على الشعب بحياد للتعبير عن رأيه تلقى النحاس رسالة سعد فما كان منه إلا أن عرض المشروع بحياد مطلق، مما يوحي بعدم تأييده لذلك دون أن يُعلن صراحةً واقترح النحاس على الوفد بعد ذلك كتابة التحفظات التي أبداها الشعب حول المشروع، مما يعني أن المشروع غير مقبول بشكله الحالي أدى هذا الإقتراح إلى فاعلية أكثر لشخصية النحاس داخل الوفد، وليس مجرد تابع لسعد زغلول.

النحاس والوفد

أصبح النحاس الساعد الأيمن لسعد زغلول فعُين في يوليو ١٩٢٠ سكرتيرًا للجنة الوفد المركزية في القاهرة بعد اعتقال عبد الرحمن فهمي بعد انضمامه لسعد زغلول في باريس، قدم إليه تقرير حول رأي الشعب في مشروع ملنر، ورافق زغلول إلى لندن في أكتوبر ١٩٢٠نُفي مصطفى النحاس وسعد زعلول ومكرم عبيد وآخرين عام ١٩٢١.

معاهدة ١٩٣٦

عند اشتعال ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ في فلسطين أسس النحاس اللجنة العربية العليا كمحاولة لتهدئة الأمور في المنطقة وكان مسئولاً عن المعاهدة المصرية البريطانية عام ١٩٣٦م إلا أنه لاحقاً ألغاها الأمر الذي أشعل اضطرابات مضادة للإنجليز، مما أدي إلي حل وزارته في يناير١٩٥٢م وبعد ثورة يوليو١٩٥٢ سُجن هو زوجته، زينب الوكيل، من ١٩٥٣م إلي ١٩٥٤م ثم تقاعد من الحياة العامة.

في ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧م عهد الملك فاروق إلى محمد محمود بتأليف وزارته الثانية، وكان محمد محمود زعيماً للمعارضة في مجلس النواب ورئيسا لحزب الأحرار الدستوريين الذي عطل الدستور والحياة البرلمانية عام ١٩٢٨م واشترك الحزب الوطني وكان يرأسه محمد حافظ رمضان في الوزارة واستصدر محمد محمود في البداية مرسوماً بتأجيل انعقاد البرلمان شهراً.

اعترض اعضاء مجلس النواب على قرار الحل فتدخل البوليس لإخراج الأعضاء بالقوة من المجلس، وكان أحمد ماهر باشا رئيساً للمجلس وأمر بعدم مناقشة مرسوم تأليف الوزارة، ومرسوم حل البرلمان فقرر الوفد فصله لتضامنه مع محمود فهمي النقراشي.

في ٥ أبريل ١٩٤٠م قدم الزعيم مصطفى النحاس مذكرة للسفير البريطاني ليحملها إلى الحكومة البريطانية يطلب فيها أن تصرح بريطانيا من الآن بأن القوات البريطانية ستنسحب من الأراضي المصرية فور انتهاء الحرب وأن مصر ستشارك في مفاوضات الصلح وسيتم الاعتراف بحقوق مصر في السودان وإلغاء الاحكام العرفية، وقوبلت هذه المذكرة بارتياح كبيرة من فئات الشعب.

في يونيو ١٩٤٠م أعلنت إيطاليا الحرب على الحلفاء منضمة إلى ألمانيا وساءت العلاقة بين السفارة البريطانية ووزارة علي ماهر باشا المؤيدة للمحور وفي ٢٢ يونيو ١٩٤٠ وجهت السفارة البريطانية إنذاراً للملك بأنه لا سبيل للتعاون مع علي ماهر باشا ولوحت صراحة بانزال الملك عن العرش ووضعه تحت الرقابة حتى لا يهرب طلب الملك تشكيل وزارة ائتلافية وأوفد وكيل الديوان الملكي عبد الوهاب طلعت إلى الزعيم مصطفى النحاس وكان في كفر عشما بالمنوفية ورفض الزعيم مصطفى النحاس الاشتراك في وزارة ائتلافية حتى لو كان رئيساً لها وطالب بتأليف وزارة محايدة يكون أول عمل لها حل مجلس النواب وإجراء انتخابات حرة وانتهى الاجتماع دون اتفاق على أي شئ من هذا .

شهدت بداية عام ١٩٤١ أزمة حادة في السلع التموينية وبدأت طوابير الخبز وكان الناس يهجمون على المخابز للحصول عليه ويتخطفون الخبز من حامليه وأوشكت الأزمة أن تصل حد المجاعة ووصلت قوات روميل في الصحراء الغربية إلى العلمين بجوار الإسكندرية فخرجت المظاهرات في ٢ فبراير ١٩٤٢ بتدبير القصر تهتف بحياة روميل وعجز حسين سري عن مواجهة الموقف فقدم استقالته.

عندما استقالت وزارة حسين سري كانت قوات روميل بالعلمين في يوم ٢ فبراير ١٩٤٢ وطلب السفير البريطاني من الملك فاروق تأليف وزارة تحرص على الولاء للمعاهدة نصاً وروحاً قادرة على تنفيذها وتحظى بتأييد شعبي وأن يتم ذلك في موعد أقصاه ٣ فبراير ١٩٤٢.

استدعى الملك فاروق قادة الأحزاب السياسة في محاولة لتشكيل وزارة قومية أو ائتلافية وكانوا جميعا عدا الزعيم مصطفى النحاس مؤيدين فكرة الوزارة الائتلافية برئاسة الزعيم مصطفى النحاس فهي تحول دون انفراد الوفد بالحكم ولهم أغلبية فى البرلمان في يوم ٣ فبراير ١٩٤٢ رفض الزعيم مصطفى النحاس تأليف وزارة ائتلافية.

في اليوم التالي الموافق ٤ فبراير ١٩٤٢م تقدم السفير البريطاني بإنذار جديد، إلا أن الزعيم مصطفى النحاس رفض الإنذار هو وجميع الحاضرين من الزعماء السياسيين أثناء الاجتماع الذي دعى إليه الملك بعد تلقي الإنذار.

في مساء اليوم حاصرت القوات البريطانية قصر عابدين واجتمع قائدها جنرال ستون بالملك الذي قبل الإنذار ودعا لاجتماع القادة السياسيين وأعلن أنه كلف النحاس بتأليف الوزارة ورفض النحاس وظل الملك يلح عليه مناشداً وطنيته أن ينقذ العرش ويؤلف الوزارة ولم يكن هناك مفر من أن يقبل النحاس تشكيل الوزارة مسجلاً ذلك للتاريخ في خطاب قبوله تأليف الوزارة حديث الملك، وبعد أن ألححت علي المرة تلو المرة والكرة بعد الكرة أن أتولى الحكم ونشادتني وطنيتي واستحلفتني حبي لبلادي من أجل هذا أنا أقبل الحكم انقاذاً للموقف منك أنت.

احتجاجه على تعيين الإنجليز له

في ٥ فبراير ١٩٤٢م أرسل الزعيم مصطفى النحاس احتجاجاً إلي السفير البريطاني في خطابه المشهور استنكر فيه تدخل الإنجليز في شئون مصر جاء فيه لقد كلفت بمهمة تأليف الوزاة وقبلت هذا التكليف الذي صدر من جلالة الملك، بما له من الحقوق الدستورية وليكن مفهوماً أن الأساس الذي قبلت عليه هذه المهمة هو أنه لا المعاهدة البريطانية المصرية ولا مركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة يسمحان للحليفة بالتدخل في شئون مصر الداخلية خاصة في تأليف الوزارات أو تغييرها.

رد السفير البريطاني مايلز لامبسون على الزعيم مصطفى النحاس بخطابه قائلاً: لي الشرف أن أؤيد وجهة النظر التي عبر عنها خطاب رفعتكم المرسل منكم بتاريخ اليوم وإني اؤكد لرفعتكم أن سياسة الحكومة البريطانية قائمة على تحقيق التعاون بإخلاص مع حكومة مصر كدولة مستقلة وحليفة في تنفيذ المعاهدة البريطانية المصرية من غير أي تدخل في شئون مصر الداخلية ولا في تأليف الحكومات أو تغييرها.

ثورة الشعب المصري الثانية وإلغاء إتفاقية ١٩٣٦

في يوم ٨ أكتوبر عام ١٩٥١ وقف مصطفى النحاس باشا على منصة مجلس النواب، وقد احتشدت القاعة بالنواب والشيوخ الذين حضروا ليستمعوا للبيان الذي سيلقيه رئيس الحكومة حيث تحدث النحاس باشا شارحاً تفاصيل المفاوضات التي أجرتها حكومته مع الجانب البريطاني لتحقيق الجلاء عن مصر وتوحيد شطري الوادي (مصر والسودان) تحت التاج الملكي إلى أن قال حضرات الشيوخ والنواب المحترمين: لقد انقضى وقت الكلام وجاء وقت العمل، العمل الدائب المنتج الذي لا يعرف ضجيجاً أو صخباً بل يقوم على التدبير والتنظيم

وتوحيد الصفوف لمواجهة جميع الاحتمالات وتذليل كل العقبات وإقامة الدليل على ان شعب مصر والسودان ليس هو الشعب الذي يُكره على مالا يرضاه أو يسكت غن حقه في الحياة.

أما الخطوات العملية التالية فستقفون على كل خطوة منها في حينها القريب، وإني لعلى يقين من أن هذه الأمة الخالدة ستعرف كيف ترتفع إلى مستوي الموقف الخطير الذي تواجهه متذرعة له بالصبر والإيمان والكفاح وبذل أكرم التضحيات في سبيل مطلبها الاسمى ياحضرات الشيوخ والنواب المحترمين: من أجل مصر وقعت معاهدة سنة ١٩٣٦ ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بإلغائها.

كانت هذه المقتطفات من خطاب النحاس باشا وقد زلزل إلغاء المعاهدة كيان بريطانيا، فقد اجتمع في اليوم التالي هربرت موريسون وزير خارجية بريطانيا بكل مستشاري الوزارة وحضر الاجتماع بريان روبرتسون قائد القوات البرية في الشرق الأوسط وأصدر الوزير بياناً يحتج فيه على إلغاء المعاهدة.

وأعلن الجنرال روبرتسون أنه سيطير إلى القاعدة البريطانية في القنال (قناة السويس) وفي مصر طلب السفير البريطاني من القواد البريطانيين لجيش الاحتلال الاجتماع به في نفس اليوم في الإسكندرية واستمر الاجتماع حتى منتصف الليل.

وألغت الحكومة البريطانية الإجازات لجميع قوات جيش الاحتلال وفي الخرطوم طافت دبابات الجيش البريطاني في الشوارع لإرهاب السودانيين فقابلوها بالهتافات بسقوط الاحتلال وتعتبر هذه هي الثورة المصرية الثانية بعد ثورة ١٩١٩.

النحاس والقمصان الزرقاء

القمصان الزرقاء، وهو تنظيم عسكري، أقامه الوفد ويضم ٣٠ ألفاً مسلحين ليحميه من ناحية ورداً على تنظيم أقامه حزب مصر الفتاة برئاسة أحمد حسين وهو تنظيم القصمان الخضراء.

قال حكمدار شرطة القاهرة بالنيابة فيتس باتريك للسفير البريطاني: -من الواضح أن غرضهم الآن ليس فقط حماية حزب الوفد ضد القصر، ولكن أيضاً الدفاع عن النحاس ضد المعارضة داخل حزب الوفد نفسه أو خارجه وتزود كل مدينة وبلدة وقرية في مصر جماعة القصمان الزرقاء بأفراد جدد.

وقرر مكرم عبيد أنه لابد من بذل كل الجهود لزيادة قوة حركة القمصان الزرق إلى ١٠٠,٠٠٠، ولابد من توفير الإعتمادات المالية الضرورية فوراً.

ويتم إنشاء معسكرات تدريب لأعضاء حركة القمصان الزرق بمصر، البعض منها في الإسكندرية، وفي كل بلدة وقرية في مصر.

وعند انضمام الأعضاء الجدد يتم تزويدهم بزي معين وإطعامهم أو يتسلمون تصريحاً بحصة طعام، وإذا لم يكن لديهم مأوى فيمكن إيوائهم في المعسكرات.

ويشعر القصر بالقلق الشديد تجاه انشطة حركة القمصان الزرق المتزايدة.

ولكن النحاس عنيد فيما يختص بأي تدخل في شئونهم، ويؤيدهم بشدة مكرم قال الأمير محمد على للسفارة البريطانية: القمصان الزرقاء تنظيم عسكري يقوده ضباط سابقون وله هيئة مخابرات ومن الواضح أن النحاس ومكرم يحكمان البلاد بأنفسهما وفي تقرير للإدارة الأوربية لوزراة الداخلية المصرية بعثت به إلى السفارة.

القمصان الزرقاء تأسست في الأصل لمواجهة نظم القمصان الخضر المناهضة للوفد، ولتثبيت تداعي الوفديين، وقد اكتسبت قوة دافعة إلى الدرجة التي يمكن أن تكون هناك خطراً أن يفلت عقالها وتبعث على القلق نسبة العمال والعاطلين والدهماء في صفوفها خصوصاً في القاهرة، حيث تقدر هذه النسبة بـ٨٥%

بالمقارنة ب١٥% للطلاب ويبدو أيضاً أن الأقلية الطلابية فقط هي التي تلتزم بسيطرة الوفد، أما الأغلبية العظمى فهي تحت قيادة محمد بلال الذي يعارض نفوذ اللجان الفرعية للوفد وقد حدث صدام بين قسمي القمصان الزرق.

وهذه الحادثة بالإضافة إلى هجوم مجموعة كبيرة من القمصان الزرق على أحد أقسام البوليس في القاهرة، والدور البارز الذي لعبه القمصان الزرق في المظاهرات الأخيرة التي نظمت لتكريم النحاس باشا ومكرم باشا، مما اكتسب قدراً كبيراً من اهتمام الرأي العام الذي بدأ ينظر في قلق ملحوظ لنمو حركة شبه عسكرية لا تخضع ليسطرة أي حكومة أو حزب ويشارك بعض الوزراء سراً في استياء الرأي العام، وفيما يتعلق بالدرجة التي يشعر بها النحاس باشا ومكرم باشا حقاً بالثقة في قدرتهما على السيطرة على الحركة، فذلك شئ لا يمكن تحديده فربما كانا متأثرين بالأمل في استخدامها، لا كأداة وفدية فحسب بل إذا اقتضت الحاجة كسلاح شخصي ضد أي حركة انشقاق داخل الوفد نفسه ويقوم النحاس بإنشاء قطاع جديد من القمصان الزرقاء يكون مقصوراً على الجامعة.

الباب الثاني

☆☆☆

خلاف بين النحاس والملك

ويبدأ الصدام العنيف بين القصر والوفد حيث خلا مقعد في مجلس الشيوخ فأراد النحاس تعيين وفدي هو حسن نافع اعترض صاحب الجلالة واقترح تعيين عبد العزيز فهمي وزير العدل السابق ورئيس محكمة النقض السابق، وكان رئيساً قبل ذلك لحزب الأحرار الدستوريين.

عدل النحاس عن تعيين حسن نافع ورشح بدلاً منه فخري عبد النور وكان له دور بارز في ثورة ١٩١٩، وفي حزب الوفد ولكن الملك أصر على اسم عبد العزيز فهمي وكان للفريقين سند من الدستور.

النحاس يري أن رئيس الوزارة مسئولاً دستورياً عن التعيين أمام البرلمان والرأي العام.

والملك يرى أن الهدف من تعيين بعض أعضاء مجلس الشيوخ أن يضم المجلس الكفاءات التي لم تدخل الإنتخابات أو لم تفز فيها والملك في هذا الشان يطبق الدستور ويحميه.

تمسك كل فريق برأيه وبحجته الدستورية.

ويظل السفير البريطاني طرفاً في الصراع بينهما وصف النحاس فاروق للسفير يوم ٢ نوفمبر فقال: -الملك فاروق لا يحتمل بالمرة فقد استخدم معي لغة مثيرة للإستفزاز خلال لقائنا الأخير.

وكان واضحاً بما لا يدع مجلاً للشك أن الملك يسعى بذلك إلى إحداث تصدع في العلاقات بيننا واستقالتي تمالك السفير نفسه بصعوبة وامتنع عن التفوه بأي شئ قد يصل إلى الملك فيستغله لصالحه.

وواصل النحاس حديثه قائلاً: -من غير المعقول أن يقوم مجرد ولد عديم الخبرة بهذا الدور العدواني.

قال السفير: -ما يفعله الملك مخالف للدستور تماماً وأني أتساءل عما إذا كان التعاون مع الملك سيكون أمراً ممكناً فيما بعد وعما إذا كان في صالح البلاد أن يذهب الملك!

حاول السفير تهدئة النحاس وقال إن الإستسلام لأزمة سياسية كبرى في الوقت الذي يواجه فيه العالم أزمة دولية سيكون عملاً غير وطني، وأي تحرك عنيف ضد الملك سيؤدي إلى تفاقم الأزمة بصورة خطيرة وأهاب بالنحاس ألا يتلاعب حتى بالفكرة.

أقر النحاس بصحة كلام السفير وأضاف: -يجب على البرلمان أن يؤكد الوضع الدستوري من جديد لمراعاة المصالح القومية.

قال السفير: لقد احتج الملك لأن الحكومة لا تتشاور معه بدرجة كافية ولكني لا أستطيع أن أثق برجاحة عقل الملك.

وكان مكرم أكثر صراحة وجرأة من النحاس مع السفير قال: الملك فاروق ليس جاهلاً وعديم الخبرة فحسب، بل أخشى أن يكون مخالفاً للدستور مناهضاً للبريطانيين والأجانب عن عمد والمسألة باختصار هي: هل يجب التخلص من الملك وتعيين ملك آخر مكانه أم لا؟.

ولكن مكرم وافق على عدم اتخاذ أي إجراء في الوقت الحالي حتى لا تتفاقم الأمور.

وقال: إذا كان مفترضاً أن تستمر الحكومة فينبغي تحديد الوضع الدستوري بين الملك والحكومة بشكل حاسم.

وقال أيضاً إن المصلحة في المستقبل تقتضي تخويف الملك فاروق.

أجاب السير مايلز لامبسون: الوقت لم يتسن لي لأفكر بوضوح في موضوع أبعد من النتائج العامة والواضحة التي يمكن أن تحدث وهي أن وقوع أية أزمة دستورية في الوقت الحالي بالذات ستكون من أخطر الأمور على مصر.

وهذه الأحاديث تكشف على أن الوفد والإنجليز فكروا في عزل الملك، وهو ما كاد الإنجليز يفعلونه يوم ٢ فبراير ١٩٤٢.

ويلتقي السفير بالملك يوم ٥ نوفمبر وكان المسار الذي اتخذ في حديثه هو أن أفضل نصيحة يمكن تقديمها إلى الملك هو أن يتذكر حالة التوتر العالمي الراهنة والتعزيزات الإيطالية في ليبيا قال: من البديهي أن تكون ظروف العمل بين الحاكم وبين رئيس وزرائه المنتخب بجدارة، ظروفاً معقولة ومن الأفضل بكثير ألا تتطور المشكلة ولا يعلم أحد نتيجتها.

لكن من شبه المؤكد أنها لن تمر بلا ضرر.

الملك الدستوري يجب أن يملك ولا يحكم مباشرة ومن الخطر الشديد عليه أن ينزل إلى ساحة السياسة الحزبية واختتم السفير حديثه مؤكداً أنه ينبغي في الوقت الحالي أن يمتنع الجميع عن تصعيد المشكلة وأن يعهد جلالته إلى علي ماهر بمهمة إيجاد حل عملي لهذه المشكلة وأضاف أنه نصح النحاس باشا بالفعل بالإعتدال.

وذكر السفير لفاروق أن تأييد بريطانيا لصاحب الجلالة يعتمد دائماً على سلوكه الدستوري الحكيم.

وكان فاروق هادئاً وواثقاً بنفسه بشكل ملحوظ، واتسم حديثه بالوقار وهو يتحدث إلى السفير وتناول الملك الجانب الذي يخصه من القضية وأكد أن موقفه لا ينطوي على مصلحة شخصية إنما تحكمه المصالح القومية.

وقال: النحاس باشا يحاول القضاء على امتيازات التاج بكل الوسائل وأشعر بأن واجبي يحتم علي حمايتها واختتم الملك حديثه فتعهد بأن بتذرع بالصبر.

قال له السفير: سلوك جلالتك يجب أن يتسم بالحكمة وعليك أن تدع الزمن يقوم بدوره وقال السفير في برقية عاجلة وزعت على دول الكومنولث: الموقف في مصر تدهور مرة أخرى بعد أن شهد فترة مؤقتة من الهدوء وقد أبلغني رئيس

الوزراء بأن الملك يزداد غطرسة يوماً بعد يوم كما ترددت إهانته له وأصبح من المستحيل تقويمه.

وعندما كان النحاس وبعض زملائه في رفقة الملك لدى عودته من الإسكندرية بالقطار إلى القاهرة بعد انتهاء فصل الصيف يوم ١٥ نوفمبر، بذل الملك جهداً ليتفادى الحديث مع النحاس على الرغم من أنه استدعى علي ماهر إلى صالونه مرتين، وقال النحاس: الملك يلعب أيضاً لعبة خطيرة في مجال الدين ويتصرف وكأنه شيخ تقي!

وقال النحاس للسفير: عقدت العزم على استعادة حريتي الكاملة في التحرك في القضية الدستورية العامة الخاصة بالعلاقات بين الملك والحكومة والإنتهاء من هذه المشكلة إلى الأبد.

قال السفير للنحاس: الوضع الذي نتعرض له لا يحتمل ذلك ولكني سأبذل محاولة جديدة مع علي ماهر وقال مايلز لامبسون للندن: الملك فاروق يبدو وكانه كالأطفال وبدون أي حكمة على الرغم من أني أشك في ان النحاس ومكرم قد أثار غضبه بشكل كبير والمثال على ذلك تجمع حركة القمصان الزرقاء امام قصر عابدين يوم افتتاح البرلمان.

التقى السفير مع علي ماهر رئيس ديوان فاروق وقال السفير، بصراحة: أعتقد أن الملك فاروق شاب أحمق متهور وعنيد وأضاف:الملك يكرر أخطاء أبيه.

وقال إن النحاس استعاد حريته الكاملة في التحرك نتيجة لإهمال الملك فاروق.

واستطرد السفير قائلاً: -يتعين علي أن أحذرك أن الملك فاروق يرتكب أفدح الأخطاء لأن النتائج لن تخرج عن أمر من أثنين وهما: إما فوز النحاس، أو إقالته من منصبه وفي الحالتين يشتد عداؤه تجاه القصر إلى أقصى حد، وهناك احتمال أن يأخذ الإتجاه المناوئ للأسرة المالكة دفعة قوية فأجاب علي ماهر: الملك فاروق هو الذي يتصرف بطريقة دستورية ولو لم يتصرف كذلك لما واصلت العمل معه، والمخطئ الحقيقي هو النحاس.

ولو أن النحاس قبل أو يقبل الإصغاء لنصيحة الملك بحل حركة القمصان الزرقاء وتخلي عن أسلوبه الأخير في إحضار عمال مسلحين لكنت قد أعطيته كلمة شرف بأن يعمل الملك معه بإخلاص.

قال السير مايلز لامبسون: وجهات النظر البريطانية إزاء حركة القمصان الزرقاء معروفة جيداً وتتفق بالفعل مع وجهة نظر رئيس الديوان ولكني لست متأكداً بالمرة من قدرة النحاس على حلهم حتى لو رغب في ذلك.

بدا واضحاً أن النحاس قلق للغاية وأعرب للسفير عن اعتقاده بضرورة الذهاب إلى البرلمان ليشرح الموقف أمامه ويحظى بتأييده في التصدي الفعال للمحاولات التي يبذها الملك لوضع يده عل كل شئ في البلاد.

وأضاف أن الملك قد يسارع بإقالته ولا شك أنه في هذه الحالة سيقوم بتعيين رئيس وزارء من الأقلية ويحل البرلمان وهنا لم يجد الوفد مناصاً من خوض صراع شبيه بالصراع الذي اضطر إلى خوضه في الماضي ولابد أن العواقب ستكون وخيمة فيما يتعلق بالموقف الدولي وبمصالح الأجانب الذين وافقوا على إلغاء نظام الإمتيازات وأودعوا ثقتهم فى الحكومة الشرعية العادية في مصر وكان واضحاً أن النحاس يهدد إذ يستند إلى التأييد البريطاني لأنه ينفذ بنود المعاهدة وستتحمل مصر أعباء مالية لإقامة الثكنات للجيش البريطاني في منطقة قناة السويس لنقل القوات البريطانية إليها، من القاهرة والإسكندرية.

ويحار السفير، وتحار معه حكومته في الموقف الذي ستتخذه، خصوصاً وأن الموقف الدولي الخطير فإيطاليا استولت على أثيوبيا وأخذت تعزز قواتها في ليبيا على حدود مصر!

أعلن السفير للندن يوم ٢٩ نوفمبر أن تصادماً مفتوحاً يدو وشيكاً بين الملك فاروق والنحاس باشا والنصائح والإحتجاجات الودية التي تقدمها بريطانيا لن تعود بعد ذلك بجدوى على أي من الطرفين والبدائل المطروحة التي يمكن أن تتغير في ظل تطورات المستقبل البعيد هي:

-وقوف بريطانيا بكل ثقلها إما في جانب النحاس باشا أو في جانب الملك فاروق.

وكان السفير يميل إلى التدخل لصالح النحاس لكنه كان يرى أن ذلك خطأ على المدى البعيد لأن الملك الشاب في النهاية سينتقم من الإنجليز.

- وقوف بريطانيا على الحياد وترك الأمور تأخذ مجراها الطبيعي وهذا ما أوصى به السفير حكومته، والتحفظات الأربعة التي وردت في تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ كانت تبيح لبريطانيا سلطة التدخل وقال السفير إن الحل الأمثل هو الإكتفاء بتقديم النصيحة الصادقة وأن يترك للطرفين أن يتحاربا لتقرير المنتصر فيهما، أي أن يحسم المعركة لصالحه أحد الطرفين المتصارعين.

وقال السفير:إذا استقال النحاس، فإن تنفيذ المعاهدة بشكل سلس يتأثر سلبياً لأنه من غير المتوقع تقريباً أن تتمتع الحكومة التي ستخلفه بنفس المرونة الحالية.

وسيحمل الوفد هذه الإنتقادات حول تنفيذ المعاهدة إلى الجموع الجاهلة وحتى لو كانت حكومة السراي حسنة النية فإنها ستواجه عقبات أكبر من تلك التي تواجهها الحكومة الحالية.

ومن ناحية أخرى فقد الوفد جزءاً كبيراً من قوته بين أوساط المتعلمين في القاهرة والإسكندرية بسبب قصوره وانقسام أحمد ماهر والنقراشي.

وأياً كان الوضع في الأقاليم، فإن الوفد بوضعه الحالي، هال السفير فقد اعتبر أن الوفد يهبط إلى مستويات أقل شيئاً فشيئاً وإنه ليس بالجواد الأصيل الذي يمكن المراهنة عليه بلا تردد وقال السفير إن عودة النقراشي وعلى الشمسي وبعض المفكرين مثل حافظ عفيفي إلى صفوف الوفد مرة أخرى قد تزيد من فرص استمرار الوفد في السلطة لفترة أطول.

إن النحاس قد يتوقع وله أسبابه أن تقدم إليه الحكومة البريطانية تأييدها الكامل لإتفاقه معها في هذه الظروف وفي الحالين ستضطر بريطانيا إلى مواجهة حقيقية مؤكدة وعملية وهي أن الملك سيستمر لفترة أطول من الوفد إلا إذا فقد

عرشه أما إذا تغلب على الوفد على الرغم من تأييد بريطانيا للوفد فإنه قد يصبح في القريب العاجل سبباً دائماً للعداء.

إن شروط ما بعد المعاهدة لا تغطي مسألة تدخل المملكة المتحدة بشكل جاد وسيصبح هذا التدخل في النهاية أمراً يستحيل الدفاع عنه قانوناً فضلاً عن أنه سيجلب على بريطانيا انتقادات عامة أكثر من تلك التي كانت تواجهها قبل المعاهدة في مصروربما أيضاً في المملكة المتحدة.

ولعل أكثرهذه الإعتبارات ثقلاً هو احتمال أن يتجاهل هذا الولد غير المسئول كل هذه الأمور ثم ينجح في إقامة حكومة مناهضة للوفد على الرغم من تأييد بريطانيا الكامل للنحاس باشا.

وفي هذه الحالة ستتلقى بريطانيا صفعة قوية في نفوذها مع النظام الجديد ومع الملك نفسه بل وستهتز مكانتها العامة التي تعتمد بدرجة كبيرة على قوة سلوكها.

واختتم السفير برقيته قائلاً: كنت أميل شخصياً إلى انتهاج سياسة متشددة مع الملك بهدف إبقاء النحاس في السلطة إلا أن الظروف تقودني رغماً عن ذلك إلى الإستنتاج أن مثل هذه السياسة لن تكون حكيمة على المدى البعيد والنظرة البعيدة يجب أن تسود في مثل هذه الأمور بسبب المخاطر التي يتضمنها الإستبعاد النهائي لملك شاب، لذلك أشعر بأسف شديد أن السياسة المضمونة الوحيدة هي عدم الخروج على السياسة المتبعة منذ عودة الملك، والتي تتمثل في تقديم الإحتجاجات والنصائح الودية وإذا فشلت هذه السياسة فإنه ينبغي ترك المسألة كلها للطرفين.

تعقدت الأمور بين الملك والنحاس وصارت البرقيات بين السفير البريطاني وحكومته يومية، بل أكثر من برقية كل يوم حول هذه الأزمات المصرية.

اجتمع مجلس الوزراء البريطاني يوم أول ديسمبر وكانت أمام المجلس مذكرة من السفير البريطاني السير مايلز لامبسون يطلب فيها توجيهه بماذا يفعل، ومع من

يقف: ملك مصر أم رئيس الوزراء الذي وقع مع الإنجليز معاهدة صداقة يوم ٢٦ أغسطس ١٩٣٦؟.

قال وزير الخارجية لمجلس الوزراء: لقد اقترحت حلاً وسطاً طلبت إلى السفير إقناع النحاس بأن يوسع حكومته وفي الوقت نفسه يلتقي السفير بصاحب الجلالة ويقنعه بأسلوب قوي عنيف أن يتعاون مع الحكومة الحالية وأن يترك سياسة العناد ووخز الحكومة بالإبر في كل مناسبة.

وقلت للسفير أن يبلغ النحاس بأن هذه أسوأ لحظة يختارها لتوجيه نداء إلى الشعب فهناك احتمال أن يقيله الملك ويجيئ بحكومة، إيطالية الميول فالملك يعارض الإرتباط ببريطانيا.

وفي الوقت نفسه تركت للسير مايلز لامبسون وأنا شديد الثقة به الحرية في بعض التصرف.

قال وزير الطيران: -إذا كان هناك شك في تواطؤ فاروق مع إيطاليا فيجب أن نتخذ إجراء أكثر عنفاً.

قال وزير الخارجية: -لقد منح السير مايلز لامبسون حق التلميح للملك فاروق بأن تأييدنا له يعتمد على تبنيه سلوكاً يتفق مع الدستور.

ولكن السير مايلز لامبسون، في الوقت نفسه يبلغ حكومته بأن الملك لم يخرق نصوص الدستور المكتوب أو التقاليد الدستورية ولكن سلوك الملك بصفة عامة يبين أنه علانية يكره حكومته ولا يثق بها وقد جعل مهمتها صعبة للغاية.

وبغض النظر عن الخلاف القانوني بين الملك وحكومته، واختلاف الآراء السياسية فإن الملك لم يضيع فرصة في أن يبين عداوته وكراهيته للنحاس ومكرم وهو يتآمر بنشاط مع عناصر المعارضة، ويتعمد تسريب ملاحظاته المحرجة عن رئيس الوزراء وأحاديثه إليه إلى صحيفة البلاغ.

وكان عبد القادر حمزة صاحب البلاغ مؤيداً للوفد فانقلبت الصحيفة معارضة تهاجم الحكومة بعنف وتنشر أنباء عن عدم التزامها بنزاهة الحكم.

أصبحت الأزمة بين ملك مصر ورئيس وزرائه الموضوع الرئيسي الذي يشغل مجلس الوزراء البريطاني ودول الكومنولث فقد تعاقبت الأحداث الداخلية بسرعة بالغة في مصر، منذ جلس فاروق على العرش وتولي سلطاته الدستورية يوم ٢٩ يوليو.

وكان الشعب المصري محيطاً بتفصيلات الأزمة، لأن الصحف تنشر كل ما يجري من مفاوضات بين القصر والوفد وتتابع الإتصالات بينهما يومياً وأصبحت شائعات قرب إقالة الوزراة تتردد في الصحف باستمرار وتتجدد مظاهرات الطلبة بتحريض من الطرفين لإستعراض العضلات!

الوفديون يقولون: -النحاس أو الثورة.

والأزهريون يتجهون إلى قصر عابدين يهتفون بسقوط النحاس فيطل عليهم فاروق ثلاث مرات من شرفة القصر محيياً مما يدل على أنه مؤيد لهذه المظاهرات وجاءت الأزمة الدستورية حول صاحب الحق في اختيار عضو في مجلس الشيوخ لتستمر شهرين كاملين.

ويعد رونالد كامبل رئيس القسم المصري بوزارة الخارجية البريطانية يوم ٣ ديسمبر مذكرة عن الموقف في مصر قال فيها: الملك والنحاس متمتعان بشعبية كبيرة بعكس ما كان عليه الحال في عهد الأب الملك فؤاد الذي لم يكن محبوباً على الإطلاق.

وفاروق ترك سياسة العزلة التي التزمها والده، ومضى خطوة أبعد في تحقيق الشعبية التي كان يحتكرها النحاس، لكنه ورث عن أبيه كراهية النحاس.

وكان رد فعل النحاس أنه تصرف بلا كياسة في مناسبة كان يحق فيها أن يقنع بالمركز الثاني وأن يترك الجماهير تركز في هتافاتها وتصفيقها لصاحب الجلالة.

والنحاس بدون شك ديكتاتور ويريد أن يكون صاحب السلطة وحده وهو يغار من الملك وقد عادى القصر بل وصل إلى حد معاداة الملكية نفسها وقد بدا شيطانياً لصاحب الجلالة عندما بنى القمصان الزرقاء جيش الوفد.

وفي مذكرة للمستشار القانوني للسفارة البريطانية بالقاهرة حول حق الطرفين في تعيين كبار الموظفين وقال إن كليهما على حق وهناك عامل إضافي وهو فشل حكومة النحاس في إدارة البلاد مما أضعف موقفه وقلل من شعبيته.

وصاحب الجلالة على حق أيضاً عندما ضغط على النحاس لحل القمصان الزرقاء والمنظمة المنافسة القمصان الخضراء لكن النحاس فشل في تحقيق الرغبتين الملكيتين.

وقد تضاعف التوتربين الجانبين.

إن الأزمة الحالية هي أن رئيس الدولة ورئيس الوزراء لا يستطيعان العمل معاً والملك فاروق يرفض تسهيل عمل رئيس الوزراء، وهو بذلك يعجز عن أداء واجبه كملك دستوري.

ونحن في بريطانيا أمامنا ٣ طرق:

١-أن نتنحى جانباً بعيداً عن الأحداث.

٢-أن نقدم نصيحة قوية إلى الملك فاروق وهو ما يطالبنا به النحاس ومعنى ذلك أن نتدخل لصالح الحكومة الحالية.

٣- الضغط على النحاس لتوسيع حكومته وهو ما فعلناه حتى الآن ولابد من بحث نتائج تدخلنا في الشئون المصرية الداخلية.

إن نصيحتنا لأي طرف إذا لم تقبل فهل نتدخل بالقوات البريطانية لفرض هذه النصيحة كما كنا نفعل في مصر قبل المعاهدة، مع العلم بأن جيشنا في مصر للدفاع عن أرض مصر بما فيها قناة السويس ضد أي عداون خارجي وحفظ النظام وإعادة الأمن وتأييد حكومة فرضتها بريطانيا وفي هذه الحالة سيعرف العالم أن مصر ليست دولة مستقلة وأنها لن تكون أبداً دولة مستقلة ما دام الجيش البريطاني فوق أرضها وهذا التطور ستكون له نتائج خطيرة.

ومعنى هذا كله ألا تتدخل بريطانيا بقوة في الخلاف بين فاروق والنحاس ولكن النحاس لم يكن يعرف قرار مجلس الوزراء بعدم التدخل وبقى معتمداً على أن الحكومة البريطانية ستتضامن معه في اللحظة الأخيرة ضد فاروق.

ويوجه السفير يوم ٢٠ ديسمبر ما يشبه الإنذار إلى فاروق اجتمع به ٩٠ دقيقة، والسفير يعرف أن النحاس سيجمع اللجنة التنفيذية للوفد بعد ٤٨ ساعة.

قال: -مستر إيدن وزير الخارجية منزعج للغاية من اتجاه الأحداث ولأن الملك يسير في منحنى خاطئ وقد عرفت الحكومة البريطانية بقلق بالغ حالة التوتر الشديد بينك وبين الحكومة مما يثير القلق خصوصاً في الموقف الدولي الراهن والحكومة البريطانية لا تتدخل في شئون مصر ولكن نظراً لمصالح الدولتين المشتركة وأهمية صيانة الإستقرار فإننا نوجه نصيحة إلى صاحب الجلالة بأنه انسجاماً مع روح الدستور فإن أي عمل مخالف سيؤدي إلى إضعاف العرش.

وأن تأييدنا يعتمد على أن صاحب الجلالة سيتصرف بحكمة واعتدال.

وينصح السفير النحاس بأن يجمع الوفد صفوفه ويستعيد العناصر المتمردة في الوفد مثل أحمد ماهر ليتبدد الإعتقاد الراسخ بأن الحكومة تحتكر الوظائف العامة.

عرض النحاس على أحمد ماهر منصباً وزارياً فقال أحمد ماهر للسفير إنه لن ينضم إلى مجلس الوزراء الذي يراه النحاس، لأن مكرم يهيمن عليه أكثر مما ينبغي.

وأبدى أحمد ماهر استعداده لتشكيل حكومة وفدية طالما أن كافة سبل التسوية بين الملك والنحاس مسدودة، بسبب تعنت النحاس.

اجتمعت اللجنة التنفيذية لحزب الوفد يوم ٢٢ ديسمبر.

اقترح النحاس ألا يتولى أي عضو في الوفد تشكيل الوزارة في حالة إقالته أي النحاس أو يقبل الإشتراك في وزارة يرأسها النحاس رفض الدكتور أحمد ماهر الموافقة على ذلك وقال إنه لا يقيد نفسه وقراره يعتمد على الظروف.

وإذا كان الأمر يتعلق بتجنب كارثة فإنه قد يقبل تشكيل حكومة وكان النحاس يرغب في طرد أحمد ماهر من الوفد إذا لم يوافق على اقتراحه، لكنه رأى أن يتفادى القطيعة النهائية مع رئيس مجلس النوب ولم يطلب من الأعضاء التصويت على اقتراحه.

وجمع النحاس الهيئة البرلمانية الوفدية يوم ٢٣ ديسمبر ليعرض عليها نتائج المفاوضات بينه وبين القصر.

قال النحاس إنه يفكر في حل القمصان الزرقاء ويوافق على اليمين التي يقسمها ضباط الجيش بالولاء للملك ويحذف التعديل الذي اقترحه النحاس بأن يقسم الضباط يمين الولاء للدستور.

ولكنه لن يوافق أبداً على تعيين عبد العزيز فهمي عضواً بمجلس الشيوخ، لأنه شديد العداء للوفد.

وقف الدكتور أحمد ماهر معارضاً النحاس ومكرم وقال: -في حالة عدم الوصول إلى حل بين الملك والنحاس أريد أن أحتفظ بالتعاون بين القصر والأغلبية فإذا عرض علي تأليف وزارة جديدة فإني أقبل تأليفها وبذلك يبقى الأمر للأغلبية بزعامة النحاس.

سأله الأعضاء: -وإذا لم يؤيدك البرلمان؟ .

قال بأنه سيحل البرلمان وأبدى انتقادات كثيرة لسياسة الوزراة.

وكان أحمد ماهر يظن أن النواب سيؤيدونه ولكن ٢٢٣ أيدوا النحاس. وأعلنوا ثقتهم الكاملة به بل قاطعوا أحمد ماهر وهو يلقي خطابه ولم يؤيد أحمد ماهر سوى نائبين هما الدكتور حامد محمود، عضو الوفد، وإبراهيم عبد الهادي الذي رأس الوزارة عام ٤٩.

وقررت الهيئة فصل أي وفدي يوافق على تشكيل وزارة أو الإشتراك في أية وزارة لا يرأسها النحاس وعند باب النادي السعدي وجد أحمد ماهر مظاهرة عنيفة

تهتف بسقوطه وبحياة النحاس بل أن بعض النواب ضربوه وبذلك اطمأن النحاس إلى تأييد نواب الحزب له!.

أذاع أحمد ماهر يوم ٢٧ ديسمبر بياناً اتهم فيه الوزارة بكل فساد مثل الإستثناءات وقوانين الطلبة وإجابة مطالب العمال ومصادرة الصحف دافع عن النحاس كريم ثابت في جريدة المصري الوفدية ففي تلك الأيام كان كريم ثابت شديد الحماس للوفد قبل أن يصبح بعد ربع قرن المستشار الصحفي لفاروق وأحد وزرائه وكان الملك فاروق يرغب في انقسام الوفد والإستيلاء عليه من الداخل عندما يحصل الدكتور أحمد ماهر والنقراشي على أغلبية من النواب فيتولى أحمد ماهر رئاسة الوزارة ولكن هذا الأمل تحطم تماماً وظهر بوضوح أن مجلس النواب مع النحاس.

وعلى الفور استبعد القصر فكرة إسناد الوزراة إلى أحمد ماهر.

وكان أحمد ماهر يسعى للصلح بين القصر والوفد واجتمع مع شقيقه علي ماهر لهذا الغرض بحضور أمين عثمان وما جرى في اجتماع الهيئة البرلمانية الوفدية جعله يتوقف عن محاولاته.

لكن الملك بلسان علي ماهر يحدد شروطه للسفير وهي:

١-حل حركة القصمان الزرقاء.

٢-قبول مرشح الملك لمقعد في مجلس الشيوخ، وهو عبد العزيز فهمي بدلاً من مرشح الوفد فخري عبد النور.

٣-تعهد النحاس بالتشاور مع الملك في أي قرار خاص بالتعيين في المناصب المهمة قبل اتخاذ أي قرار وزاري.

ويوافق النحاس على حل القمصان الزرقاء لكنه يرفض التنازل في مسألة تعيين عضو مجلس الشيوخ، لأن فيها ضياعاً وإهداراً لماء الوجه وتبقى عدة مسائل معلقة لم يتم التوصل فيها إلى حل وهي الحكومة في تقديم مشروعات القوانين إلى

البرلمان دون اشارة القصر على موافقته مقدماً، وحقها في تعيين الموظفين وفصلهم حتى درجة سكرتيرعام أية وزارة.

وتتطور الأزمة وفي اليوم التالي ٢٤ ديسمبريلتقى أمين عثمان وهو وسيط السفير البريطاني أكثرمما هو وسيط للنحاس بعلي ماهر.

قال رئيس الديوان: -مايشغلني الآن أمان البلاد وأمن صاحب الجلالة نفسه وقد سحبت اختصاص الإشراف على البوليس من يوسف الجندي الوكيل البرلماني لوزارة الداخلية وهو وفدي وعهدت به إلى حسن رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية وتثيرهذه المسألة غضب النحاس، لأن رئيس الديوان ليس له حق التدخل في مثل هذه الأمور!

ويجتمع السفير بأحمد ماهر رئيس مجلس النواب يوم ٢٦ ديسمبر الذي يبدو متشائماً من إمكان حل الأزمة بين القصروالوفد.

قال أحمد ماهر للسفير: أعتقد أن الوقت سينتهي بتعيين محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرارالدستوريين رئيساً للوزارة.

وأضاف السفير: من السخف أن تتوقف المفاوضات وتختفي الحلول للخلاف حول تعيين عبد العزيزفهمي.

أبلغ أخاك علي ماهر.

ولكن أحمد ماهرلا يبدو ميالاً إلى ذلك.

وفي الوقت نفسه تراجع علي ماهر عن وعده بإقناع فاروق تسهيل عمل الحكومة والتعاون معها إذا حل النحاس القمصان الزرقاء.

ويفطن السفيرإلى مؤمرات علي ماهروهي أنه لو وافق النحاس على أحد مطالب القصرفإن علي ماهريثيرمشكلة جديدة لتعقيد الموقف.

تظاهر المصريين لمنع إقالة النحاس من رئاسة الوزارة كما تكررت بنفس الصورة المكثفة بعد خمس سنوات لتعيين النحاس رئيساً للوزراة في ٤ فبراير

١٩٤٢ والتقى السفير لآخر مرة بعلي يوم ٢٨ ديسمبر لام السفير رئيس الديوان، لأنه لم يلتزم بوعوده لحل الأزمة.

اعتذر علي ماهر، وأطال الحديث عن الظروف التي تغيرت.

قال: سأذهب الآن للقاء النحاس وأوجه إليه إنذاراً نهائياً وأعرض عليه مقترحات جديدة تماماً فإذا لم يوافق عليها النحاس سأقول له إن صاحب الجلالة لا يستطيع العمل مع الحكومة الحالية وأطلب منه تشكيل حكومة ائتلافية.

أجاب السفير: لا أعرف لماذا يوافق النحاس على تشكيل مثل هذه الحكومة وعنده أغلبية برلمانية مؤيدة.

وعندما ينصرف رئيس الديوان، يتصل السفير تليفونياً بالنحاس ويبلغه المقترحات التي سيقدمها علي ماهر ويقول له: أحذرك لا ترفض هذه المقترحات فوراً.

قال النحاس: سأقول له لابد من استشارة زملائي.

قدم علي ماهر إنذاراً إلى النحاس بأن يشكل حكومة ائتلافية، أو يقبل التحكيم في المسألة الدستورية من لجنة تضم رؤساء الوزارات السابقين ورؤساء مجلس النواب والشيوخ السابقين ووزراء العدل السابقين ووزير العدل الحالي ورئيس الوزراء النحاس.

ويتصل أمين عثمان بالسفير قائلاً: -مكرم عبيد أبلغني بأنه يرى أن تشكيل لجنة الحكماء تعتبر حلاً غير عملي فكلهم معادون للوفد والحل الأمثل تشكيل لجنة من أعضاء مجلس النواب والشيوخ للتحكيم في الخلاف هو الحل الأمثل رفض النحاس اقتراحات علي ماهر مفضلاً لجنة برلمانية والأغلبية للوفد في البرلمان فيقبل فاروق يوم ٣٠ ديسمبر النحاس وهو فاروق في الثامنة عشرة من العمر ويقول في كتاب الإقالة شعبنا لم يعد يؤيد طريقة الوزارة في الحكم!

وكان النحاس يهدد بحشد البرلمان ضد فاروق، فسبقه الملك وأقاله قبل أن يجمع النحاس البرلمان لمساندة الدستور لم يدافع الإنجليز عن مصطفى النحاس،

ولم يصروا على بقائه في الحكم فقد أدى مهمته لحسابهم ووقع معاهدة ١٩٣٦ورأوا الوقوف على الحياد مما يعني تأييدهم للملك وهو ما حدث عام ١٩٤٤ عندما أقال فاروق النحاس للمرة الثانية.

وعندما أراد وزير الدولة البريطاني المقيم في الشرق الأوسط كيسي الدفاع عن النحاس عام ١٩٤٤ جاءت برقية من وزراة الخارجية البريطانية تقول له:لا تتدخل وكانت الحرب العالمية الثانية في مراحلها الأخيرة والإنجليزية ليسوا في حاجة إلى النحاس الذي حرص على وقوف مصر كلها معهم وعندما انتهت مهمته خذلوه مرة أخرى كما فعلوا عام ١٩٣٧.

كان السفير البريطاني مايلز لايسون ينتظر الفرصة للإنتقام من فاروق وحانت اللحظة المناسبة عند تقدم الألمان داخل الحدود المصرية في الصحراء الغربية وأصبحوا يهددون مصر والمظاهرات تجتاح القاهرة والشعب المصري يهتف -إلى الأمام يا روميل.

حصل لامبسون على موافقة الحكومة البريطانية فحاصر قصر عابدين ووجه إنذاراً إلى فاروق بإسناد رئاسة الوزراة إلى مصطفى النحاس فخضع فاروق وتولى النحاس رئاسة الوزراة نحو عامين فلما تراجع الغزو الألماني انتهز فاروق سفر لامبسون الذي أصبح لقبه اللورد كيلرون فأقال النحاس ووقع حريق القاهرة في يناير ٥٢ فأقال فاروق النحاس للمرة الأخيرة بعد أقل من عامين في ٢٧ يناير ١٩٥٢وفي تلك الأثناء، وُضِعت القاهرة تحت الحكم العسكري، وأُعلِنت الأحكام العرفية المشددة في جميع أرجاء مصر وقد تم تدمير ٣٥ مبنى بحريق القاهرة أثناء الشغب وقُتِل ١٠٠ شخص والأحكام العرفية سوف يستمر سريانها على الأقل لمدة شهربنوكان السفير البريطاني صادق الرؤية عندما يكتب عام ١٩٣٧ بأن كل شئ في مصر يعتمد على موقف الجيش.

ويتحرك الجيش لا لتأييد النحاس، وعزل الملك، بل يتحرك الجيش عام ١٩٥٢ لعزل الملك لا لحساب حزب من الأحزاب السياسية المصرية بل ضد كل الأحزاب .

الباب الثالث

النحاس ورجال يوليو

☆☆☆

النحاس ورجال يوليو

تلك السنوات الثلاث عشرة الأخيرة من عمر مصطفى باشا النحاس التى عاشها مصاحباً للمرض، زاهداً فى الظهور، مرصوداً من الأمن، أسيراً للمرض والشيخوخة تلك السنوات التى تطاولت عليه فيها السهام ولاحقته الاتهامات والشائعات فى محاولة للنيل من تاريخه أو الحد من شعبيته، لكن إرادة الله أبت فصل توأم الوطن عن الناس حتى يوم رحيله، فخرجت الملايين فى شوارع الاسكندرية والقاهرة تودع الرجل الأنبل فى تاريخ السياسة والوطنية المصرية.

كانت سنوات العزلة محل بحث دؤوب من بعض الكتاب ليعرف كيف عاش الرجل الذى تولى حكم مصر خمس مرات على مدى ربع قرن، سنوات التأميم والطغيان وتأسيس حكم الفرد؟ كيف عايش الإرهاب البوليسى والدعايات السوداء والتزلف للحكام الجدد؟ ولماذا لم يساير أو يبايع الزعيم الجديد الذى صنع زعامته ببطولات كاذبة؟

ما يذكره النحاس باشا فى المذكرات المعروفة مذكراته التى أملاها على سكرتيره الخاص محمد كامل البنا يفيد فرحه بحركة الضباط عندما قامت فى ٢٣ يوليو وتفاؤله فى البداية بها لقد كان فى أوروبا فى رحلة علاج وكان عمره وقتها ٧٣ عاماً ولم يسافر أبداً بالطائرة، لكنه قرر قطع العلاج والعودة إلى مصر فوراً ليركب الطائرة لأول مرة إنه يقول عن ذلك: كانت فرحتى بقيام الثورة قد أنستنى تهيبى من ركوب الطائرات، وبينما أنا أجلس على مقعدى حضر الطيار وأخبرنى بأن فاروق قد وقع على وثيقة تنازله عن العرش لابنه أحمد فؤاد الطفل ورحل عن البلد، فكانت فرحتى بهذا النبأ فرحة غامرة وسرورى به كبيراً.

واللافت للنظر أكثر أن اجتماعاً عقده النحاس وفؤاد سراج الدين مع أعضاء من مجلس قيادة الثورة حضره اللواء محمد نجيب بعد ثلاث ليال من الحركة كان إيجابياً للغاية حتى أن اللواء نجيب قال للنحاس وقتها: إحنا بننفذ سياستك أنت زعيم البلد وزعيمنا.

لكن يبدو أن الضباط الذين كانوا خارج سيطرة نجيب نفسه كانوا يرون النحاس تحديداً عقبة فى طريق انفرادهم بالسلطة وبدأت نواياهم تجاه الحريات تتضح شيئاً فشيئاً بعد مظاهرات قام بها عمال كفر الدوار طالبوا خلالها بإنصافهم، فما كان من مجلس قيادة الثورة إلا أن قبض عليهم وحاكمهم على عجل وصدر الحكم بإعدام اثنين منهم ونفذ على الفور.

انقلاب على الزعيم

ولم تمر أيام على نشر جريدة المصرى لنص قانون تحديد الملكية الزراعية الذى أعلن فؤاد سراج الدين موافقة الوفد عليه، إلا ونشرت جريدة أخبار اليوم موضوعاً عن علاقة الوفد بالضباط، ذكر فيه أن فؤاد سراج الدين وضع ضباط الثورة فى جيبه ومن هُنا بدأ التوتر يكسو علاقة زعماء الوفد وضباط الحركة، خاصة جمال عبدالناصر الذى استجاب سريعاً لاقتراح سليمان حافظ بمحاكمة زينب الوكيل حرم النحاس باشا ومصادرة ثروتها، لأن أحداً من الناس لن يصدق اتهاماً ضد النحاس، وسيعلو أكثر فى أذهان الناس.

ولم تمر أيام قليلة على ظهور مصطفى النحاس فى صلاة الجمعة بالإسكندرية حتى صدر قرار بتحديد إقامته لقد غضب عبدالناصر بشدة من التفاف الجماهير حول الرجل وهتافهم باسمه حتى أن ابراهيم طلعت فى مذكراته المعنونة أيام الوفد الأخيرة، يشير إلى أن عساكر البوليس خشوا من عشرات الآلاف من الناس ولم يتعرضوا للرجل المسن الذى حملته الجماهير.

كان ذلك سهماً موجعاً شعر به عبدالناصر الذى كان يسعى لتأسيس زعامة منفردة رُبما كان يعلم أن تحوله إلى قائد كاريزمى يستدعى تأييد ومساندة زعيم محبوب مثل النحاس له، خاصة أنه رفض محاكمته طبقاً لشهادة أنور السادات التى كتبها أنيس منصور فى كتابه من أوراق السادات، وذكر فيها أن عبدالناصر

عارض مقترحاً لدى مجلس قيادة الثورة بمحاكمة النحاس، قائلاً إنه ولى من أولياء الله الصالحين وأنه لا يظلمه أحد ويفلح، بل إنه ذكرهم بأنه نجا من ٧ محاولات اغتيال متقنة.

لكن محاكمة النظام لحرم النحاس وتحديد إقامته أصاباه بحنق تجاه الحكام الجدد الذى رآهم لا يتورعون عن أي ظلم من أجل تحقيق وترسيخ دولتهم وكان يمكن للرجل أن يجمع الناس ويحرضهم ضد الدولة، وكان كثير من ضباط الجيش على خلاف مع عبدالناصر لكن النحاس خشى على الوطن من الانقسام والتشرذم ورفض مبدأ المقاومة بالعنف مؤثرا التفرغ للعبادة وقراءة القرآن.

إن ابراهيم طلعت أحد قادة الطليعة الوفدية يكشف سراً خطيراً فى مذكراته، عندما يقرر بصراحة أن محاكمة الوفديين ومصادرة أموالهم وتحديد إقامة النحاس وحل الأحزاب دفعه كل هذا إلى التخطيط لعمليات اغتيال مباشرة لعدد من زعماء حركة يوليو على رأسهم عبدالناصر نفسه، رغم انه كان صديقاً له يوماً من الأيام ويشير طلعت إلى أنه تحدث مع بعض شيوخ الوفد فى ذلك وفوجىء بالنحاس باشا يستدعيه ويحتضنه ويطلب منه أن يخرج تلك الوساوس الشيطانية من رأسه. وقال النحاس لراوى الشهادة: إن أمن مصر أسبق وأكبر وأهم من أى شىء قال طلعت: لقد تنصلوا من وعودهم، وسيحاكمونكم رد النحاس: ولو، إن القوات المسلحة هى ضمان أمن الناس ولا يمكن أن تتحول إلى خصم واحتضن النحاس ابنه وتلميذه ابراهيم طلعت وأخبره بأن الغدروالاغتيال لا يقيم دولة ولا يرد حقاً.

وهكذا يعلنها النحاس قاطعة بأنه لن يقامر بأمن الناس وسيصبر وسيصمد وسيخرج من العمل السياسى، لكن رغم ذلك تستمر حملات التشهير ضد الرجل وضد حرمه، ويسرد الطبالون والزمارون أكاذيب ،ويحرّض المتلونون ضده وضد شيوخ الوفد ورغم ذلك يؤثر النحاس الصبر ويعكف على تقضية يومه بين ثلاثة

أمور هى قراءة القرآن، ولعب الطاولة، والتحدث إلى أبناء وبنات أصهاره الذين كانوا يزورونه باستمراروكان بعضهم يقيم معه.

ويبدو أن المرض بدأ يزحف على الرجل الذى عاش عمره مستقيماً ومُنظماً فى كل أعماله ومهتما بصحته ورياضته وبعده عن السهر والتدخين، وأصيب الرجل فى البداية باختلال فى ضغط الدم وصار لزاماً عليه أن يتناول أدوية بصفة دورية وكانت حرمه هى الأخرى تعانى من مرض السكر وكانت ثروته قد تمت مصادرتها فى محاكمة استثنائية جائرة، ولم يبق للاثنين سوى معاش شهرى قيمته ١٢٠ جنيهاً كان عليهما أن يدفعا منه إيجار البيت، وأجور الخادم والبواب، فضلاً عن طعام الزائرين وحتى أفراد الشرطة المكلفين بمراقبة منزل الباشا لذا فإن مبلغ المائة وعشرين جنيهاً لم تكن تكفى احتياجات الباشا المريض وزوجه، لذا فقد اضطرت زوجته فى البداية إلى بيع حليها وبعض قطع الأثاث لتاجر لبنانى شهير يدعى الياس مفرج، ثُم اضطرت حرم النحاس إلى تسريح سائقها الخاص والخدم خاصة وأن الأدوية كانت تلتهم معظم المعاش.

وشعر بعض الوفديين وبقايا الاسر القديمة بالخجل من حال زعيم مصر واجتمعوا وقرروا تجميع مبلغ من المال للإنفاق به على مرض الزعيم وحول ذلك يقول النحاس باشا فى مذكراته: وجاءنى عثمان محرم وأحمد حمزة وفؤاد سراج الدين، وبدأ فؤاد الحديث قائلاً:أنت تعلم أن عبدالناصر استولى على جميع ما تملك السيدة حرمك وأن المعاش لا يكفيك ولا يفى بمطالبك الضرورية ونحن والحمد لله لا يزال لدينا زائد عن حاجتنا، ولطالما غمرت المحتاجين منا ومن أعضاء الهيئة الوفدية وأنصار الوفد بعطفك وفضلك كعهدنا بك، كما عودتنا أن تنزل عند رأى الجماعة وقد قررنا أن نساهم معك فى بعض النفقات ونرجو ألا ترفض طلبنا.

فغضبت ورفضت أن أقبل منهم أى مال على أية صورة، لكن عثمان محرم وأحمد حمزة قالا لى إننا سندفع ما ندفع كسلفة نقرضها لك كما فعل بنك مصر

عندما خفض صدقى معاشك، ومادام التاريخ يعيد نفسه وما دمنا لا نستطيع أن نحمل القائمين على أمر بنك مصر الآن على أن يقرضوك فقد قررنا أن نحل محلهم ونرجو أن تنزل كما عودتنا على رأى الأغلبية وليس يضيرك أو يمس من كرامتك.

والواقع أن ذلك الأمر لم يستمر كثيرا، فلم تلبث أن فرضت الحراسة على جميع الكافلين ووقتها لم تجد زينب الوكيل بداً من الاتصال بالرئيس جمال عبدالناصر مباشرة باعتباره رئيساً لمصر بغض النظر عن موقفها الشخصى منه وتسجل لنا مذكرات النحاس باشا نص المكالمة وهو كالتالى:

زينب الوكيل: أنا زينب الوكيل حرم الرئيس السابق مصطفى النحاس.

فقال عبدالناصر: أهلاً وسهلاً فى حاجة؟.

فقالت: تعلم أن كل ما أملك صودر وأصبحت لا أجد ما أستطيع أن أواجه به الحياة وأنا مسئولة عن زوجى الذى مهما كان رأيكم فيه فلا ينكر أحد أنه ظل يخدم الوطن أكثر من ثلاثين عاماً، وقدم ما قدم فهل ترضى أن يهان فى أخريات أيامه، والا يجد ثمن الدواء الذى يعالج به؟.

فرد قائلا: لست أرضى بهذا ولا أقبله فماذا تطلبين؟ .

قالت زينب: أطلب أن تأمر بصرف مبلغ لى من إيراد أموالى التى تحت يد الحكومة لأنفق على مطالب الحياة كى لا أمد يدى للناس.

فقال: سأفعل

وبعد يومين اتصل محمد أحمد وقال إن سيادة الرئيس عبدالناصر أمر بصرف ثلاثمائة جنيه شهريا للإنفاق منها على مطالب الرئيس السابق مصطفى النحاس.

رسالة طه حسين

والحقيقة، فإن زيارات الوفديين الأصلاء لم تنقطع عن رفعة النحاس باشا وحرمه، وكان معظمهم من المحامين أو من عائلات الأعيان التى تعرضت للتأميم والمصادرة، وفى يوم من الأيام عام ١٩٦٢ فوجئ النحاس باشا بزيارة غير معتادة

يقوم بها الدكتور طه حسين عميد الأدب العربى ووزير التعليم فى آخر حكومة للوفد لقد كان حسين ممن رأوا فى حركة الضباط حركة إصلاح اجتماعى ضرورى، هو ما جعل عبدالناصر يقربه ويعتبره من مستشاريه، وقال طه حسين للنحاس إنه يحمل رسالة من الرئيس جمال عبدالناصر إليه مفادها أنه لم يتعرض له، ولم يسيئ إلى مكانته ولم يحاكمه، لكنه يراه معرضاً عنه ولا يؤيده، وكانت مفاجأة أن يرد النحاس باشا عليه بأنه لم يحاكمه، لكنه ليته فعل، لكنه تعرض لزوجتى التى تحمل اسمى وقدمها للمحاكمة بتهم واهية وأدلة كاذبة وجعل الجلسة سرية ولم يسمح للمحامين بحضورها ولا نشرها وأضاف النحاس قائلاً لطه حسين: إن عبدالناصر لم يتعفف عن إلصاق التهم بسيدة مهيضة الجناح ويحاكمها دون دليل أو برهان إلا الشائعات وأشياء اقتبسوها من الخصوم والأعداء ونقلوها بلا تصرف ولا عقل ولا مراعاة لكرامة أو أخلاق.

وخلال هذه الزيارة تحديداً قال النحاس لطه حسين: إنه طلّق السياسة طلاقاً بائنا لا رجعة فيه وأنه يأمل أن تنتهى حياته على السترو التوحيد تاركا الحكم عليه للتاريخ.

الباب الرابع

☆☆☆

محاولات الاغتيال والنهاية

من انجازاته

من الغريب أن فترة حكم الوفد طوال السنوات السابقة علي ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم تزد علي ثماني سنوات، والاغرب أن هذه السنوات شكل فيها مصطفي باشا النحاس الحكومة سبع مرات ورغم ذلك حفلت بانجازات لم يتحقق نصفها في عهود ثلاثة رؤساء جمهورية حكموا مصر لنحو ٦٠ عاماً.

ويمكن القول أن ابرز تلك الانجازات كانت معاهدة ١٩٣٦ التي حققت استقلالاً مبدئياً لمصر وأخرجت قوات الانجليز إلي قناة السويس وحققت الاستقلال للجيش المصري كما تضمنت الانجازات الغاء الامتيازات الاجنبية لـ١٢ دولة وهو قرار استعاد سيادة مصر وكرامتها وحقق لها تحرراً معنوياً كما وضع النحاس وحكومة الوفد شرارة الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني بعد إلغائه معاهدة ٣٦ عاما ١٩٥١ وبدء معارك الفدائيين ضد المحتلين في القناة وهي معارك تجاوز عددها ١٥ معركة خسر فيها الانجليز كثيراً من الضحايا فضلاً عن ذلك يحسب لحكومات الوفد تأسيس جامعة الدول العربية وتوقيع معاهدة للدفاع المشترك بين الدول العربية، وإنشاء ديوان المحاسبات الاجهاز المركزي للمحاسبات ومحكمة النقض والبنك المركزي واتحاد العمال فضلاً عن إصدار عشرات التشريعات المنظمة للحقوق في مصر مثل قانون العمال، مجانية التعليم الابتدائي، التأمين الاجباري علي العامل، استقلال القضاء، التعريب.

ونعتقد نفس الاعتقاد السائد لدي كثير من المؤرخين والساسة أن حكومات مابعد ٢٣ يوليو استخدمت نفس سياسات الوفد لتضع برنامجها السياسي الذي انطلق من مجانية التعليم والإصلاح الزراعي والاهتمام بالعمال.

السياسة الخارجية

إن الجيل الحالي لا يعرف فضل النحاس باشا في ريادة مصر خلال الثلاثينيات والأربعينيات إقليميا رغم أنها دولة محتلة إنه لمن العجيب أن يكون الوفد وزعيمه أول من عرفوا القوة الناعمة لمصر واستخدموها لمد النفوذ المصري إلي مناطق عديدة ولاشك أن سياسة رفض الأحلاف التي طنطن لها نظام عبدالناصر لم تكن سوي سياسة الوفد وزعيمه كما أن فكرة عدم الانحياز انطلقت من مصر الوفد ليستغلها ناصر فيما بعد وليس أدل علي ذلك من أن نهرو حرص علي صداقة النحاس باشا حتي بعد يوليو، وكان يزوره عندما يزور مصر ويلتقي بناصر.

وليس أكثر ادهاشاً من رجل مثل النحاس باشا يقف إلي جانب الشعوب العربية ويساندهم رغم أنه في حركة مواجهة ومقاومة دءوبة لاستعمار غاشم ويصل به الحد إلي تقديم معونات مالية لعلال الفاسي الزعيم المغربي لشراء أسلحة لمواجهة الاستعمار الفرنسي، واعتراف مصر مبكراً باستقلال لبنان، ومساندته لاستقلال باكستان رغم توازن علاقته مع نهرو والمهاتما غاندي وفي هذا الصدد يقدم لنا كتاب الجوادي حكاية جديدة عن مراسلات محمد علي جناح زعيم المسلمين الهنود مع النحاس وزيارته إلي القاهرة وشكواه من تعرض المسلمين فى الهند للاضطهاد والاتفاق علي ضرورة فصل المسلمين في دولة تتسم بالود في علاقتها مع الهند ويطلب جناح من النحاس باشا تسمية الدولة الجديدة فيختار الحرف الأول لكل إقليم من الاقاليم المحصورة في الدولة الجديدة من عينة بنجاب، أباد حتي يكتمل اسم باكستان، وهي رواية واردة في مذكرات النحاس باشا نفسه التي كتبها محمد كامل البنا ونشرت عام ١٩٩٠.

أما قضية فلسطين فتأخذ مساحة كبيرة من دور النحاس في معالجة الصراع العربي الإسرائيلي واهتمامه الشديد بهذه القضية ويصف الجوادي موقف النحاس بأنه كان مشرفاً إلي أبعد الحدود ويمكن أن نلتقط أبعاد ذلك الموقف من خلال الآتي:

١- اقترح النحاس علي اللجنة التحضيرية لجامعة الدول العربية عام ١٩٤٤ قبول ممثل الأحزاب العربية في فلسطين للمشاركة في اللجنة.

٢- في ٢٩ يناير ١٩٥٠ رفض النحاس طلب بيفن وزير خارجية بريطانيا عبور أي ناقلات بترول متجهة إلي إسرائيل رغم ان بريطانيا كانت تحتل قناة السويس وهو موقف قوي وجريء ويعبر عن الشخصية المصرية الفذة.

٣- في فبراير ١٩٥٠ أصدرت حكومة الوفد منشورا بتفتيش السفن والطائرات وضبط أي غنائم متعلقة بحرب فلسطين.

٤- حصار إسرائيل من خلال وجود مصر فى جزيرة تيران وحرمان إسرائيل من المرور في خليج العقبة.

ورغم ذلك فقد اصدر صحفي كتاباً من جزءين حاول فيه أن يصور النحاس باشا غير واع بقضية فلسطين بينما نصوص مايلز لامبسون تشير إلي أن النحاس منذ الثلاثينيات منتبه بشدة لخطر الدولة العبرية.

محاولات اغتيال النحاس

لقد تعرض مصطفى النحاس في حياته للعديد من محاولات الاغتيال نجا منها جميعًا رغم خطورتها، ففي السنوات من ١٩٤٥ إلى ١٩٤٩ التي أقصي فيها الوفد عن الحكم، شهدت البلاد موجه من الإرهاب الدموي ارتكبت خلالها عدة جرائم اغتيال وتفجيرات للمحال التجارية ودور العرض السينمائية، وهي جرائم قامت ببعضها تنظيمات صغيرة من الشباب الراديكالي الذي ابتعد عن طريق النضال الوطني إلى طريق الإجرام السياسي، وقد افتتحت هذه الجرائم بجريمة اغتيال أحمد باشا ماهر رئيس الوزراء في فبراير سنة ١٩٤٦.

وكانت أبرز محاولات الاغتيال الفاشلة التي تعرض لها النحاس باشا ثلاث محاولات، الأولى في ٦ ديسمبر ١٩٤٥ قام بها الشاب حسين توفيق الذي ألقى قنبلة

على سيارة النحاس أثناء مروره في شارع قصر العيني في طريقه إلى النادي السعدي، ولم يصب النحاس في الحادث، ولم يعرف الجاني إلا بعدها بأسابيع عندما اعترف حسين توفيق بأنه مرتكب الحادث أثناء التحقيقات في قضية اغتيال أمين عثمان، أما المحاولة الثانية فوقعت في ٢٥ أبريل ١٩٤٨ عندما انفجرت سيارة ملغومة بجوار قصر النحاس باشا بجاردن سيتي، ويشغله الآن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ولم يصب أحد في الحادث وإن كانت بعض أركان الدار قد تعرضت للتلف، ولم يستدل على الجناة، ثم في نوفمبر من العام نفسه هاجمت سيارة مسلحة النحاس باشا أثناء عودته إلى منزله مساء فقتلت اثنين من حرسه وجرحت ثلاثة أخرين ولم يعرف الجناة أيضاً.

لقد عبر النحاس سنوات الإرهاب بسلام، تلك السنوات التي راح ضحيتها اثنان من رؤساء الوزارة، ووزير سابق، ومرشد جماعة الإخوان ، ووكيل محكمة استئناف مصر، وحكمدار العاصمة، وعديد من المواطنين الذين تصادف وجودهم في ساحة الأعمال الإرهابية الإجرامية ، نجا النحاس بأعجوبة حتى أنهم كانوا يقولون عنه أنه رجل طيب مكشوف عنه الحجاب.

لكن محاولات اغتيال النحاس لم تقف عند حد الاغتيال المادي الذي لم يصبه بأذى بل امتدت للاغتيال المعنوي الذي استخدمه خصومه السياسيين كما استخدمته السرايا لمحاولة النيل منه، كانت أول تلك المحاولات القضية المعروفة بقضية الأمير سيف الدين، التي جرت وقائعها في أواخر عام ١٩٢٨ وامتدت إلى بداية عام ١٩٢٩، وترجع أصول هذه القضية إلى عام ١٩٢٧ عندما تولى مصطفى النحاس وويصا واصف وجعفر فخري كمحامين، وهم جميعا خارج السلطة، قضية رفع الحجر عن الأمير أحمد سيف الدين أحد أفراد الأسرة المالكة الذي كان على خلاف مع الملك فؤاد، وقد حصل المحامون الثلاثة على توكيل من والدة الأمير للسير في القضية، وبدأت الصحف المعادية للوفد حملة تشهير ضد رئيس الوفد وزميليه متهمة إياهم بالخيانة ومخالفة شرف المهنة، وتم تسريب أوراق

الدعوى للصحف، واستغلت حكومة الانقلاب الدستوري الثاني (انقلاب محمد محمود) الأمر، فحولت الأمر إلى مجلس تأديب بنقابة المحامين في محاولة للنيل من سمعة النحاس ونزاهته، بدعوى أن الأتعاب التي اشترطوها باهظة، وأنهم اشترطوا أيضاً أن مؤخر الأتعاب لا يستحق إلا بعد كسب الدعوى وإنهم قبلوا الدعوى دون التثبت من ظروفها مستغلين نفوذهم السياسي، وحول هذه القضية يقول الخصم السياسي للوفد وللنحاس باشا، المؤرخ عبد الرحمن الرافعي: عرضت عليّ الحكومة وقتئذ . وكنت محاميا بالمنصورة . وظيفة رئيس نيابة الاستئناف، وفهمت من ملابسات العرض أنهم يريدون مني أن أتولى المرافعة عن النيابة العمومية في هذه القضية، فاعتذرت إذ كنت أعتقد أن التهمة لا أساس لها من الصحة وقد أصدر مجلس التأديب حكمه في ٧ فبراير سنة ١٩٢٩ ببراءة النحاس وزميليه، وأثبت في أسباب حكمه تزييف بعض عبارات الترجمة العربية التي نشرت في الصحف لبعض الوثائق المحررة أصلا بالتركية، وتصيد الشهود ليشهدوا زورًا لمصلحة الاتهام.

ثم كانت المحاولة الثانية لاغتيال سمعة النحاس باشا من خلال الكتاب الأسود الذي أصدره مكرم عبيد باشا، وأحصى فيه ما اعتبره سيئات لحكومة الوفد ولرئيسه مصطفى النحاس، وذلك بعد خروج مكرم عبيد من الوزارة وفصله من الوفد المصري، وقد تسبب صدور الكتاب في اعتقال العمال الذين قاموا بطباعته وتوزيعه واعتقال مكرم باشا نفسه استنادًا إلى الأحكام العرفية التي فرضت مع قيام الحرب العالمية الثانية، ورغم الضجة التي آثارها الكتاب، ورغم الاتهامات التي وردت فيه والتي استخدمت في الهجوم على النحاس لسنوات طويلة، فإن أول انتخابات ديمقراطية أجريت بعد الحرب العالمية أتت بحزب الوفد بزعامة النحاس مرة أخرى إلى الحكم.

لقد عبر النحاس باشا أكبر محاولتين لاغتياله معنويًا مثلما عبر محاولات اغتياله فعليًا واستمر زعيماً للأمة، إلا أن القضية الكبرى التي أثير حولها الجدل

السياسي بشكل واسع حول مصطفى النحاس ومواقفه السياسية وما زال الجدل مثار حولها إلى يومنا هذا.

كانت حادثة ٤ فبراير١٩٤٢ ومازالت من أكثر الأحداث إثارة للجدل حول مصطفى النحاس وتاريخه الوطني، فقد استخدمها خصوم النحاس في العهد الملكي للنيل منه والتعريض به، كما ظلت الحادثة بعد يوليو١٩٥٢ نقطة الارتكاز في الهجوم على النحاس وسيظل يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ من الأيام التي يختلف المؤرخون والسياسيون في تفسيرها، ولا يتفقون على قراءة واحدة لها ويتلخص الاتهام الذي يوجه إلى الرجل في هذه القضية في أنه جاء إلى رئاسة الوزارة في فبراير١٩٤٢ على دبابات الإنجليز، أو بمعنى أدق قبل تولى الحكم بناء على طلب الإنجليز وضغطهم على الملك.

وفاته

بدأ المرض يشتد على الرجل الذى تجاوز الخامسة والثمانين وقامت زوجته بنقله إلى الإسكندرية حيث أجرت بيتا لهما هناك فى حى الرملة بجوار فندق بوريفاج، وكان الأصدقاء والمعارف يزورونه ويجلسون معه يلعبون الطاولة وكان واعياً لكل من حوله، حريصاً على سؤال الناس عن أولادهم بأسمائهم، كأن ذاكرته أبت أن تغمض وميضها عمَن يحب وعندما جاء شهر أغسطس سنة ١٩٦٥ ظن النحاس أن نهايته اقتربت وتوقع أن تكون نهايته فى نفس شهر وفاة سعد زغلول، لكن القدر جعل رحيله ليس فى نفس الشهر فقط وإنما فى نفس اليوم ففى فجر٢٣أغسطس استيقظ فجراً وسمعت زوجته قراءته للقرآن فاستيقظت ، فقال لها أنا باموت يا زينب، فاتصلت بفؤاد سراج الدين الذى حضر سريعا، فوجده يقرأ ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ثم توقف صوته مرة وقال الله وصمت وكررها كثيراً حتى أسلم الروح وكما يحكى على سلامة

فقد تولى فؤاد سراج الدين ابلاغ حمدى عاشور النبأ ، الذى قام باعلانه فى الاذاعة المحلية للاسكندرية أكثر من مرة ونقلتها عنها إذاعة البرنامج العام، وأبدى المحافظ استعداده لاتخاذ اجراءات تشييع الجنازة، لكن فؤاد سراج الدين أصر علي أن تكون الجنازة فى القاهرة فى اليوم التالى وبالفعل عاد الجميع حول جثمان الزعيم إلى داره فى جاردن سيتى ليخرج منها ويلتف حوله عشرات الآلاف من كل حدب وصوب وهم يبكون بحرارة ويهتفون: إلى جنة الخلد يا نحاس لا زعيم الا أنت وفشلت الشرطة فى السيطرة على الموقف فسارت الجنازة من جاردن سيتى إلى التحرير وعبر شارع سليمان إلى شارع صبرى أبوعلم ثم تمت الصلاة عليه فى مسجد الكيخيا، وانطلقت نحو الحسين حيث صلى عليه مرة ثانية والناس تبكى ولا تكاد تصدق، حتى انطلقت بعدها السيارة إلى مقابر البساتين حيث صُلى عليه للمرة الثالثة قبل أن يدفن فى مقبرته هناك ويذكر صلاح الشاهد أن جمال عبدالناصر كان في جدة عندما انتقل الزعيم مصطفى النحاس باشا إلى رحاب الله وكان توديع النحاس باشا رهيباً يحمل وفاء الأمة وتقديرها لمن عملوا لمصر لآخر قطرة من دمائهم ونبض من حياتهم وقامت مظاهرة كبرى نقلتها الصحف العالمية ووكالات الأنباء والتفت جلالة الملك فيصل إلى الرئيس وكان بجواره قائلاً: لقد كان النحاس باشا رحمه الله رجلاً عظيماً فاضلاً وصمت جمال عبدالناصر وأرسل الملك فيصل برقية مؤثرة إلى أسرته.

لازعيم بعدك يانحاس

كانت هي الصرخة المدوية في أذان كل مصري عندما أعلنت فاجعة موت مصطفى باشا النحاس في ٢٣ أغسطس١٩٦٥ فودعت مصر زعيم أخر كما ودعت الزعيم سعد زغلول في أغسطس ١٩٢٧،و في مشهد نادراً ما يتكرر حيث امتلأ ميدان التحرير عن آخره بالجماهير التي جاءت تودع مصطفي النحاس وأحاطت

الجماهير بالجثمان الطاهر، وحملته علي الاعناق، واذا كانت الجماهير قد عرفت بداية الجنازة من جامع عمر مكرم، فلم يعرف أحد نهاية الجنازة التي اتجهت إلي شارع طلعت حرب ومنه إلي جامع الكخيا الذي كان مقرراً أن تنتهي عنده الجنازة ولكن الجماهير أبت إلا أن تصلي علي جثمان الزعيم في مسجد الامام الحسين، وفي سابقة أولى من نوعها قامت جماهير مصر بخطف الجثمان وهي تهتف: لا زعيم بعدك يا نحاس اشك لسعد الظلم يا نحاس والزعامة ماتت من بعدك يا نحاس واستشاط الحاكم غضباً، وقال لمن حوله:هو الوفد لسه عايش، وأصدر عبدالناصر قراراً باعتقال وحبس كبار الوفديين الذين شاركوا في جنازة النحاس ليحفر ذاك التاريخ فى أذهان المصريين للأبد ذكرى رحيل اثنين من خيرة زعماء الوفد بيت الأمة فى تاريخ واحد سعد والنحاس.

أعمال فنية وأدبية تخلده

تناولت شخصيته عدد من الأفلام والمسلسلات والأعمال الأدبية نذكر منها:

فيلم امرأة هزت عرش مصر سنة ١٩٩٥

مسلسل رد قلبي سنة ١٩٩٨ بطولة محمد رياض ونرمين الفقي وقام بدور مصطفى النحاس الممثل مخلص البحيري.

مسلسل بنت أفندينا سنة ٢٠٠٤

مسلسل الإمام المراغي سنة ٢٠٠٦: بطولة حسن يوسف وقام بدور مصطفى النحاس الممثل معتز السويفي.

مسلسل الملك فاروق سنة ٢٠٠٧ عن قصة حياة الملك فاروق الأول وقام بدور مصطفى النحاس الممثل صلاح عبد الله.

مسلسل ملكة في المنفى سنة ٢٠١٠ عن قصة حياة الملكة نازلي وقام بدور مصطفى النحاس الممثل محمد متولي.

مسلسل الجماعة سنة ٢٠١٠ عن قصة حياة حسن البنا وجماعة الإخوان المسلمين وقام بدورمصطفى النحاس الممثل أحمد راتب

مسلسل مشرفة رجل لهذا الزمان سنة ٢٠١١ عن قصة حياة علي مصطفي مشرفه بطولة وقام بدورمصطفى النحاس الممثل طارق عبد العزيز.

مسلسل كاريوكا سنة ٢٠١٢ عن قصة حياة تحية كاريوكا وقام بدور مصطفى النحاس الممثل محمد غنيم.

المسلسل الإذاعي ٤ فبراير سنة ٢٠١٤ عن قصة حادثة ٤ فبراير وقام بدور مصطفى النحاس الممثل فايق عزب.

مسلسل الجماعة سنة ٢٠١٦ عن قصة الإخوان المسلمين من عام ١٩٤٩ حتى ١٩٦٦ وقام بدور مصطفى النحاس الممثل محمود الجندي.

أهم المصادر والمراجع:

١. مصطفي النحاس:دراسه في الزعامه السياسية المصرية - علاء الحديدي.
٢. السيرة الذاتية لمصطفى النحاس- ذاكرة مصر المعاصرة.
٣. ما لا يعرفة الناس عن الزعيم مصطفى النحاس- سلامة علي .
٤. مصطفي النحاس:السياسي والزعيم والمناضل- رفعت السعيد.
٥. في ذكرى وفاة مصطفى النحاس- نور رشوان.

الفهرس